دلالة تراكيب الشرط في اللغة العربية: دراسة تحليلية

The semantic of conditional structures in Arabic Language: An Analytical study

Stuktur ayat syarat dalam Bahasa Arab: Satu kajian analisis

محمد ماجد الدخيل*
حسين يوسف قزق**

ملخص البحث:

تقصد هذه الدراسة إلى النظر في الجملة الشرطية، في ظل عناوين ثلاثة: الشك واليقين، والتماثل بين فعل الشرط وجوابه، والجملة المزحزحة، مركزة على الجانب الدلالي في الجملة الشرطية، وقد بيّن البحث أن فكرة الشك واليقين ليست كما هو متداول عند النحاة، وإنما يحكمها اعتبارات أخرى منها السياق، وقد استعان البحث في هذه النقطة تحديداً بالمنهج التحويلي كما تبناه خليل عمايرة، ثم تناول فكرة الاتحاد بين فعل الشرط وجوبه، وبيّن أنها ليست قضية عبثية، وإنما تخضع لعامل دلالي وليست مجرد تشابه لفظي. وفيما يخص مسألة الجملة المزحزحة بين البحث مفهوم هذه الجملة، وأنها انزاحت لغرض دلالي، وهو أن الجملة الموجودة جملة معللة، وقد سدت مسدّ جملة الجواب، وأغنت عنها. وقد حاولت الدراسة أن تلقي الضوء على هذه الأفكار، متكئة على أمثلة من القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والشعر العربي، وبعض الأمثلة النثرية. توصلت الدراسة إلى أنّ (إذا) تفيد اليقين، و(إنْ) تفيد الشك، وقد تخالفت هذه الدراسة معها، ورأت أن الشك نابع من الجملة التي تجيء بعدها، وليس منها، وأن في جواب الشرط، أي الجملة النواة، هي الأصل، وهي –إن جاءت إخبارية– يمكن أن تتقبل دخول بعض أدوات التوكيد مثل اللام وإنّ وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الشرط– الجملة النواة– الدلالة– الشك– اليقين.

Abstract:

This study aims at investigating conditional sentence with regard to three topics: suspicious and confirmed situations, the compatibility between the conditional verb and its correspondence, the shifting sentence. This is

* أستاذ مشارك، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية إربد الجامعية، قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة الأردنية الهاشمية.

** أستاذ مساعد، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية إربد الجامعية، قسم اللغة العربية وآدابها، المملكة الأردنية الهاشمية.

done by focusing on the semantic aspect of the conditional sentence. The study showed that the topic of suspicious and confirmed situations not in the manner that it was treated by the grammarians before as it is subject to some other considerations such as the context. The study had made use in this regard with the transformative method used by Khaled ‘Amayrah. The study also treated the idea of unity between the conditional sentence and its correspondence and found out that it is not an arbitrary issue since it is influenced by a semantic factor and not merely structural resemblance. As for the shifting sentence, the study explained its concept; that it is shifted due to semantic purpose: the existing sentence is explanatory sentence and it replaces the corresponding sentence. The study tried to shed light on these ideas through the verses of the Holy Quran, the prophetic traditions, Arabic poems and some examples from prose. The study concluded that: the particle ‘iza’ signifies confidence, ‘in’ signifies suspicion. The study saw that suspicion is derived from the sentence that came after it and not from the same sentence it was mentioned, and that the corresponding sentence is the origin and that if it declarative, it is receptive of confirmative particles such as the ‘lam’, ‘inna’ and others.

Keywords: Condition- Kernel sentence- Semantic- Suspicion- Confidence.

Abstrak:

Kajian ini bertujuan untuk mengkaji ayat syarat berkaitan dengan tiga perkara: keadaan yang pasti dan waham, kesesuaian di antara kata kerja syarat dan jawapannya serta ayat yang berubah kerananya. Aspek semantik dalam ayat syarat tersebut akan dijadikan focus. Kajian ini akan menunjukkan topik ayat pasti dan waham bukan seperti yang telah dikaji oleh para pengkaji tatabahasa terdahulu kerana ia adalah juga dilihat sebagai terpengarauh oleh pertimabangan-pertimbangan yang lain contohnya, konteks. Kajian ini mengambil kira metod yang telah dipelopori oleh Khaled ‘Amayrah. Kajian ini juga mengambil kira ide kesatuan di antara ayat syarat dan jawabannya dan ia mendapati hubungan ini bukanlah rambang sifatnya kerana ia dipengaruhi oleh factor semantik dan bukannya semata-mata disebabkan keserupaan dari segi struktur. Manakala untuk ayat yangberubah pula, kajian ini akan menjelaskan konsepnya; perubahannya ialah disebabkan oleh tujuan semantik tertentu: ayat yang tersedia ialah ayat penerang dan ia sebenarnya adalah pengganti kepada ayat jawab syarat. Kajian ini akan memetik contoh-contoh daripada ayat-ayat al-Quran, sunnah, puisi-puisi Arab dan prosa Arab. Kajian ini mendapati: partikel ‘iza’ membawa makna keyakinan, manakala ‘in’ membawa makna waham. Kajian ini mendapati maksud

waham ini didapati daripada ayat yang selepasnya dan bukannya daripada ayat yang disebut di dalamnya partikel tersebut. Ayat jawab syarat sebenarnya adalah yang asal dan ia adalah deklaratif dan boeh menerima partikel-partikel seperti 'lam', 'inna' dan lain- lain.

Kata kunci: Syarat - ayat nukleus – semantic – waham – pasti.

مقدمة:

لا نجد في الدراسات النحوية القديمة والمعاصرة ما يسعف في تعرف دلالات الجملة الشرطية، ففي حين ركزت الدراسات النحوية على الناحية التركيبية من مثل الحديث عن الجملة الشرطية، والفعل والجواب، ونوع الفعل، والرابط الذي يربط الفعل بالجواب، ركزت الدراسات البلاغية على المضمون في الجملة الشرطية. وترى هذه الدراسة أن ذلك لم يكن كافياً، وأن بعض ما طرح يمكن إعادة طرحه ومناقشته من جديد، وإن كان قد تعرض له السابقون تعرضاً سريعاً.

ومن هذه المسائل فكرة الشك واليقين، إذ شاع عند النحويين أن (إنْ) تفيد الشك، و(إذا) تفيد اليقين، وهو قول ذهب إليه الكوفيون، وذكره ابن يعيش في **شرح المفصل**، وهو أمر يثير التفكير ويبعث على إعادة النظر في الموضوع، فلماذا ربطت (إنْ) بالشك، و(إذا) باليقين، وعلى أي أساس؟ وكذلك مسألة تماثل فعل الشرط وجوابه، مخالفاً للأصل الذي ينص على أنه لا بد أن يتخالفا، ولا شك أن هذا يحتاج لتأويل، فمن غير المنطقي أن تكون هناك أمثلة ولا يكون لها تفسير وتوجيه، وكذلك مسألة حذف جملة الجواب، أو ما يسميها بعض الدارسين بالجملة المزحزحة، ذلك أن بعض جمل الشرط يتوقف المرء عندها مستدعياً بعض قواعد الشرط لعلها تسعف في فهم هذا النوع من الجمل المخالف للجمل الشرطية المعروفة، فلا يستطيع أن يجد لها جواباً.

ستحاول هذه الدراسة أن تبحث في المسائل السابقة، لتفسر الإشكالات التي تثيرها، وهي إذ تفعل ذلك لتستفيد، في بعض هذه المسائل، من المنهج التوليدي التحويلي، والذي رأته الدراسة مفيداً في تناول أسلوب الشرط في اللغة العربية. وقد اعتمدت الدراسة على أمثلة من القرآن، والسنة، والشعر، والنثر.

أولاً– فكرة الشك واليقين:

يقصد بالشك أن يكون المرء متردداً بين النقيضين دون ترجيح لأحدهما على الآخر، وقيل: (هو ما استوى طرفاه فلا يميل إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما على الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين).[١] وأما اليقين فهو علم يحصل بعد استدلال وروية.[٢]

ويربط النحاة، عند الحديث عن الشرط، الأداة (إذا) باليقين، وغيرها من الأدوات بالشك، يقول ابن يعيش: ((إنْ) في الجزاء لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكاً في وجوده، وإنْ قلت: إنْ طلعت الشمس فأتني، لم يحسب إلا في اليوم المغيم).[٣] وبخصوص (إذا) فإنها تدلّ على اليقين، (وقولك: إذا طلعت الشمس فيه اعتراف بأنها ستطلع لا محالة).[٤] وإلى هذا، إي إفادة (إنْ) الشك، ذهب الكوفيون.[٥]

وتسعى هذه الدراسة إلى مناقشة هذه الفكرة أولاً، ومن ثَمّ فهي تطرح بعض الأمثلة في سبيل الانتقال إلى فكرة أخرى في هذا السياق:

أ. إذا طلعت الشمس فسافر.

ب. إذا كان الشتاء، فأدفئوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء.

ج. إذا جاء علي فأكرمه.

د. إذا نجحت فسأكرمك.

هـ. إذا حصلت على درجة ممتاز، فسأشتري لك سيارة (تقولها لمن تعرف أنه لا يمكن أن ينجح).

فإذا تأملنا الجملة (أ)، فإننا ندرك سلفًا أن طلوع الشمس حقيقة، وهذا معروف بداهة، ولكنا نلاحظ أن اليقين متأتٍّ من حقيقة طلوع الشمس وتكرارها الأزلي، وليس من دخول (إذا) عليها، وكذلك الأمر في المثال (ب).

وإذا تأملنا المثال (ج)، (إذا جاء علي...، فنحن نعرف أن عليّاً قد يأتي، وقد لا يأتي، ومعنى ذلك أنها قضية احتمالية، ولم ينفع دخول (إذا) عليها فيجعلها يقينية. وأما المثال (د) (إذا نجحت فسأكرمك)، فهو قائم على الشك، فالمتكلم ليس متيقّناً من نجاح المخاطب، ولكنه يربط إكرامه –أي الطالب– بنجاحه. وهذه ليست قضية يقينية، بل هي تعليق وقوع حدث على آخر، مع إمكانية وجود الشك. وأما الجملة (هـ) (إذا حصلت على درجة ممتاز...) فمن الواضح أن المتكلم على يقين أنه –أي المخاطب– لا يمكن، بل يستحيل أن يحصل على هذه الدرجة؛ ومن ثمّ فهو يمنّي ويعد بإعطائه سيارة؛ لأنه يعرف حقيقة المخاطب. ويمكن القول هنا إن النقيض –أي الفشل– هو اليقين في ذهن المتكلم.

وإذا كان اليقين والشك متعلقين بالمتكلم، والمتكلم هو الذي يحدد الأداة المناسبة وفقاً لكلام العرب، فإن المخاطب أيضاً معنيّ بفهم ما أراد المتكلم، وعلى الأخير أن يستخدم الأداة المتفق عليها في المجتمع الذي يتكلم فيه. وعليه؛ تخلص الدراسة إلى أن اختيار الأداة (إذا) ليس مناسباً ليدل على اليقين، ولا علاقة لها بقضية اليقين، وإنما اليقين أو الشك متحقق فيما جاء بعدها من الكلام.

وللنظر إلى فكرة الشك في غير (إذا): (إنْ) وبعض أخواتها، نعرض الأمثلة الآتية مع بيان الرأي في ذلك:

أ. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾.[٦]

إن فكرة الدخول هنا متحققة، وليست من الظن في شيء، ومعنى (كلما) هو التكرار، وكما هو واضح، فإن تكرار الدخول أعقبه تكرار الإيجاد، والدخول والإيجاد قد حصلا على وجه اليقين، وليس ثَمّ أدنى شك في ذلك.

ب. فلما فرغت، أقبلت حتى جلست معهم.[٧]

الفراغ هنا من الشيء يعني الانتهاء منه، وقد تم، وكذلك الإقبال، فهما –أي الفراغ والإقبال– يقينان، وليسا قائمين على الظن.

ج. قال أبو جهل: (فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب).[٨] وهذا قائم على طرح الاحتمالات، وهي جملة قائمة على الشك في نفس القائل، والتشكيك في نفس المخاطب، وهذه المقولة قد قيلت في رؤيا رأتها عاتكة بنت عبد المطلب قبيل بدر، فانتشرت بين الناس، وشكك فيها المشككون كأبي جهل، مثلاً.

د. قول العباس لنساء بني عبد المطلب حين اعترضن على مقولة أبي جهل: وأيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفينكنه.[٩]

الجملة الشرطية هنا تحمل معنى اليقين والعزم على التصدي لأبي جهل، وهي لا تقترب من الشك، بسبب اقترانها بالقسم في الجملة السابقة.

وذكر هذا القسم هنا يقتضي ذكر هذا المثال:

هـ. ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾:[١٠]

حيث إنّ (إنْ) قد اقترنت باللام الموطئة، لام القسم، وهي تفيد معنى التوكيد، ولا يصلح أن تقترن بما يفيد الشك.

و. ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾:[١١]

والمعنى من يأتي منهن بفاحشة مبينة وسوء خلق، وهذا شرط، ولا يقتضي الشرط الوقوع، وهو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾،[١٢] وهذا لم يقع من الرسولﷺ، وكذلك لم تقع الفاحشة من أمهات المؤمنين، ودليل ذلك الآية التالية لهذه الآية، وهي: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.[١٣] وقد جاء في الحديث أنه عليه السلام قد خيّر نساءه، فاخترن الله ورسوله.[١٤]

ز. لو درس لنجح:

ومعنى الجملة هنا امتناع الثاني لامتناع الأول، فانعدام النجاح –وهو يقين– انبنى على انعدام الدراسة –وهو يقين أيضاً–، فالجملة الشرطية قائمة على النفي الضمني للدراسة والنجاح، وذلك على سبيل التحقق واليقين، وليس الشك المفترض.

ولكن في الجملة:

ح. والذي بعثك بالحقّ، لو سرت بنا إلى بَرك الغماد، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه،[١٥]

الحديث عن تحقق المجالدة في حالة السير إلى برك الغماد، ومع أن الفعل هنا (سرت) يفيد المستقبل، إلا أنه مشفوع بالقسم، ويفهم منه حقيقة توجه ذلك الصحابي، وأنه يقصد ما يقول.

ط. ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:[١٦]

يلاحظ هنا تكرار الجملة الشرطية المرتبطة بالأداة (إنْ)؛ حيث جاءت الأولى مرتبطة بـ: (قَبْل)، والثانية بـ: (دُبُر)، وحقيقة الفعل (قُدّ) قد حدثت، فهي يقينية، ولكن الشك هنا قائم في مكان الحدث القبل أم الدبر، وتكرار (إنْ) في جملتين متواليتين يفيد الاحتمال، والاحتمال ضدّ اليقين. والشهادة هنا شهادة شخص من أهلها لمْ يرَ الحادثة، فهي شهادة قائمة على طرح الاحتمالات في سبيل التوصل إلى الحقيقة.

ي. ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾:[١٧]

الكلام هنا موجّه للرسولﷺ، والتاء ضمير المخاطب، وقد بدئت الجملة بـ: (كان)، التي ذكر النحاة أنها تفيد المضي والوقوع، وكلمة (شك) واردة في النص، ومع ذلك، فإن الرسولﷺ منزه عن الشك، وذلك بدليل آيات كثيرة منها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾،[١٨] وامتناع الشك في حق الرسولﷺ، وإلا فكيف يدعو الناس للإيمان، وهو شاك فيما يدعو إليه. وقد ورد أنه قال في مناسبة هذه الآية: لا أشك ولا أسأل.

وقد حمل بعض المفسرين[١٩] هذا على الافتراض، وليس على الحقيقة، ومثله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾،[٢٠] –والظّنّ هنا يفيد اليقين أي إنكار يوم القيامة– ثُمّ قال: ﴿ولئن رُدِدْتُ إلى ربّي لأجدنّ خيراً منها منقلباً﴾،[٢١] فاستخدم (إنْ) الشرطية المقترنة بلام القسم، ولكن كيف يُوَفَّق بين هذه الجملة والجملة السابقة؟ والجواب: إن هذا على سبيل الافتراض، فكأنه قال: إن رُدِدْتُ إلى ربي –كما تزعم وعلى سبيل الفرض والتقدير– فلأجدنّ خيراً منها منقلباً.[٢٢] فالشك لم يقع في نفس رسول الله ﷺ ولا هو سأل.

على أنه يمكن القول إن العرب تستجيز كما ورد عن الطبري: (قول القائل منهم لمملوكه: إن كنت مملوكي فانْته إلى أمري، والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده. وكذلك قول الرجل منهم لابنه: إن كنت ابني فبرَّني، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنُه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض منهم).[٢٣] ووجه الكلام عند بعض المفسرين كالتالي: أي قل يا محمد للكافر: فإن كنت في شك... فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك.[٢٤]

ك. ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾:[٢٥]

رأى الكوفيون أن (إنْ) في الآية تفيد معنى (إذْ)؛ لأن إنْ تفيد الشك –تعالى الله عنه– وقد رد الرضي الأستراباذي (٦٨٦ هـ) على ذلك بأنها (ليست للشك، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها، لا للشك، ولو سلمنا ذلك أيضاً قلنا: إنه تعالى يستعمل الكلمات استعمال المخلوقين، وإنه يستحيل مدلولها في حقه تعالى لضرب من التأويل).[٢٦]

ل. ﴿إما يبلغنّ عندك الكبر أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾:[٢٧]

إن (إما) هنا مكونة من (إنْ) الشرطية (وما) الإبهامية التي جيء بها لتأكيد معنى الشرط؛ لذا صح دخول النون المشددة على الفعل لزيادة التقرير والتوكيد، ولو أفردت (إنْ) لم يصح دخولها، لا تقول: إن تكرمن زيداً يكرمك، ولكن إمّا تكرمنه،[٢٨] (كأنه قيل: إن هذا الشرط مما سيقع ألبتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتباً عليه، وإلا، فالتقرير والتأكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على تردد الحكم).[٢٩]

على أن هذه الدراسة تنظر إلى الجملة الشرطية على غير ما هي عليه عند النحاة، وستتخذ منهج المدرسة التوليدية التحويلية[٣٠] في تناولها لهذا الموضوع، وإنما الأصل في الجملة الشرطية –كما يرى الكوفيون–[٣١] أنها جملة الجواب، فهم يرون أن (الأصل في الجزاء أن يكون مقدماً على (إنْ) كقولك: أضربُ إنْ تضربْ)،[٣٢] فهي جملة توليدية،[٣٣] ثم دخل عليها فعل الشرط، فأصبح الجواب متعلقاً بفعل الشرط، فالفعل عنصر تحويل:

١. إن تدرسْ تنجحْ.
٢. إن درست نجحت.
٣. إن تدرس فأنت ناجح.
٤. إن تدرس فإنك ناجح.

٥. أنت ناجح إن درست.

٦. أنت -إن درست- ناجح.

٧. إذا أنت أكرمت الكريم، ملكته

٨. قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّك﴾.[٣٤]

ففي الجملة (١) جملة الجواب (تنجح) هي الجملة التوليدية، وهي الأصل، وهي جملة فعلية تفيد الإخبار، (ولما لم يكن هذا هو قصد المتكلم في هذا السياق، بل أراد أن يشترط (لنجاحه الدراسة) فأتى بما يعبر عن مراده فتحولت إلى جملة تحويلية، ولكنها بقيت جملة فعلية).[٣٥] وعلى هذا؛ فإن (إنْ) عنصر تحويل يفيد الشرط.

وفي الجملة (٢) -إن درست نجحت- فإن المعنى أقوى في درجة الاحتمال من الجملة السابقة، وقد اختير في الجملة الفعل الماضي، ليعبر عن هذا المعنى. قال ابن جني (٣٩٢هـ): (وكذلك حديث الشرط في نحو: إن قمتَ قمتُ، جئت فيه بلفظ الماضي الواجب، تحقيقا للأمر، وتثبيتاً له، أي إن هذا وعد موفٍّ به لا محالة، كما أن الماضي واجب ثابت لا محالة).[٣٦]

وفي الجملة (٣) -إن تدرس فأنت ناجح-، فإن الجملة الاسمية النواة (أنت ناجح)، وهي أقوى في احتمال النجاح المشروط من الجملتين السابقتين، وعنصر التحويل هو: إنْ تدرس، والجملة النواة هي جملة اسمية جاء فيها التحويل لغرض في المعنى هو الشرط.

وفي الجملة (٤) -إن تدرس، فإنك ناجح- نجد المثال امتداداً للجملة السابقة (٣)، ولكنه دخل عنصر توكيد جديد، وهو (إنّ)، فهي أكثر توكيداً منها.[٣٧] ومثل ذلك ما ورد في الآية: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾،[٣٨] فإن عنصر التحويل هنا هو (قد).

وكذلك الأمر في الجملة (٥) (أنت ناجح إن درست)، ولكنها أقوى احتمالاً في الوقوع من الجمل السابقة، وذلك أنه قدم الجملة التوليدية (أنت ناجح)، وأخّر عنصرَ التحويل (إنْ درست)، فهي جملة فيها عنصران من عناصر التحويل، الأول -هو عنصر الزيادة (إنْ درست)، والثاني- تقديم الجملة النواة على (أنت ناجح) على عنصر التحويل (إن درست).

وفي الجملة (٦) (أنت -إن درست- ناجح) تركز الجملة على عنصرين: الأول -(أنت)، وليس غيرك، والعنصر الثاني- الشرط، فهي تتحدث عن المخاطب نفسه، مقترناً بحالة الدراسة، ولكنه جاء بالشرط فاصلاً بين المسند والمسند إليه (أنت

ناجح). فهي جملة تحويلية، التحويل فيها بإضافة عنصر الشرط في الوسط بين المسند والمسند إليه.

وفي الجملة (٧) –إذا أنت أكرمت الكريم ملكته– نجد أن عنصر التحويل هو (إذا)، والجملة النواة (ملكته)، ثم دخل عنصر التحويل (إذا أنت أكرمت الكريم)، وفي هذه الجملة الأخيرة عنصر تحويل آخر، فالأصل: أكرمت الكريم، ثم قُدِّم الفاعل (ت) على الفعل (أكرم) –فتحول إلى ضمير منفصل (أنت)– للعناية والاهتمام، وهو رأي الكوفيين في هذه المسألة.[٣٩] وفي رأي للأخفش (٢١٥هـ) أنّ (إذا) ليست أداة مختصة، فتدخل على الاسم كما تدخل على الفعل.[٤٠]

وفي الجملة (٧) ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ نلاحظ أن الجملة النواة هو (أزيدُ)، ثم دخل عنصر التحويل (إن شكرتم) التي ربطت الزيادة بالشكر، ودخلت اللام –المشعرة بجواب القسم– والنون المشددة على الجملة النواة، وعلى الجملة الشرطية كاملة دخل عنصر التحويل، وهو اللام الموطئة للقسم التي تفيد التوكيد. فالزيادة المؤكّدة بهذه المؤكِّدات يسبقها شكر المنعَم عليه. ويُلاحظ أن جواب الشرط –أي الجملة النواة– هو الذي يقبل التوكيد مثل: إنّ، واللام. في حين لا يقبل فعل الشرط أيّ أداة توكيد إلا إذا كانت (إن) الشرطية المقترنة بـ (ما).[٤١] وقد جاء في القرآن غير مرة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.[٤٣٤٢]

على أنه يمكن القول إن الجملة النواة قد تتجاوز الجملة الإخبارية إلى الإنشائية، وذلك نحو: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾،[٤٤] فالجملة (لا تصاحبني) جملة إنشائية فعلها مسبوق بنهي، ومثل ذلك فعل الأمر (انكحوا) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾،[٤٥] وكذلك (عسى) في قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَداً، فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.[٤٦]

ثانياً– اتحاد الشرط والجواب:

الأصل في فعل الشرط وجوابه أن يتغايرا، وألا يتماثلا، وذلك نحو: من طلب العُلا سهر الليالي، وهو الكثير الشائع، ولكن هذا الأصل قد تخلّف أحيانا. وستحاول الدراسة هنا أن تعرض بعض الأمثلة، محاولة طرح المسوغ لهذا التماثل فيها.

١. اختلاف الدلالة:

قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾:[٤٧] فقد اتحد الفعلان في الصورة: فعل الشرط (عدْ)، وكذلك فعل الجواب، ولكن مع اختلاف في الإسناد، فالفعل الأول أسند إلى ضمير المخاطب (أنتم)، والثاني أسند إلى الضمير العائد إلى الله (نا) الذي يفيد التفخيم؛ مما أدى إلى اختلاف الدلالة، فالمعنى: إن عدتم إلى الإفساد، عدنا إليكم بالعقوبة.[٤٨]

ومنه قوله ﷺ: "مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً": أي تقرب إلى الله مقداراً قليلاً، أوصلت رحمتي إليه قدراً أزيد منه، وكلما زاد العبد قرباً زاده الله رحمة، (وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً) معروف، وهو قدر مدّ اليدين (وإذا أتى إليّ مشياً أتيته هرولة)، وهو الإسراع في المشي أي أوصل إليه رحمتي بسرعة. قال النووي (٦٧٦هـ): معناه من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدتُ، فإن أتاني يمشي وأسرعَ في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ.[٤٩]

ومنه قول زهير بن أبي سلمى (١٣ ق. هـ):

ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرَّم[٥٠]

وهو على معنى: من لا يكرّم نفسه بتجنب الرذائل لا يكرّمه الناس.[٥١]

وليس من هذا –أي اختلاف الدلالة– قولهم في المثل: كبنت الجبل، مهما تقل تقل،[٥٢] هو ابنة الجبل، ومعناه الصدى يجيب المتكلم بين الجبال؛ يقول: هو مع كل صوتٍ، كما أن الصدى يجيب كل ذي صوتٍ بمثل كلامه.

ويقال: كبنت الجبل، مهما تقل تقل؛ يضرب مثلاً للإمّعة المتابع. وحقيقته أن الفعل (تقل) الأول مسند إلى المتكلم، أي أنت، في حين كان الفعل (تقل) الثاني، أي جواب الشرط، مسنداً إلى ضمير المؤنث الغائب هي.[٥٣]

ومنه قوله تعالى: ﴿ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾.[٥٤] وهذا يحمل أيضاً على اختلاف المعنى، فـ: (لا يقال: من قام فإنه يقوم، فكيف قال من تاب فإنه يتوب؟ فقال ابن عباس (٦٨هـ): المعنى من آمن من أهل مكة، وهاجر ولم يكن قتل وزنى، بل عمل

صالحاً، وأدى الفرائض، فإنه يتوب إلى الله متاباً، أي فإني قدمتهم وفضلتهم على من قاتل النبيﷺ واستحل المحارم).[٥٥]

وطرح بعض المفسرين سؤالين: السؤال الأول –ما فائدة هذا التكرير؟ الجواب: من وجهين: الأول: أن هذا ليس بتكرير؛ لأن الأول لما كان في تلك الخصال بيّن تعالى أن جميع الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منها، الثاني: أن التوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصي، والتوبة الثانية رجوع إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾،[٥٦] أي مرجعي.

السؤال الثاني: هل تكون التوبة إلا إلى الله تعالى، فما فائدة قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتاباً﴾؟ الجواب: من وجوه: الأول–ما تقدم من أن التوبة الأولى الرجوع عن المعصية، والثانية الرجوع إلى حكم الله تعالى وثوابه. الثاني– معناه أن من تاب إلى الله فقد أتى بتوبة مرضية لله، مكفرة للذنوب، محصلة للثواب العظيم. الثالث –قوله: ﴿وَمَن تَابَ﴾ يرجع إلى الماضي، فإنه سبحانه ذكر أن من أتى بهذه التوبة في الماضي على سبيل الإخلاص، فقد وعده بأنه سيوفقه للتوبة في المستقبل، وهذا من أعظم البشارات.[٥٧]

ويتبع لما سبق، أي الدلالة، اختلاف المتَعلَّق، ويقصد بذلك أن يأتي الفعل مرة أخرى وهو يرتبط بوصف أو مُتَعلَّق من شبه جملة أو حال أو غيرها مما يؤدي إلى زيادة في المعنى لم تكن موجودة في الفعل الأول، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾:[٥٨] فقد ورد (انقلبوا) في فعل الشرط، وتكرر في جملة الجواب، وفي هذا التكرار زيادة تقرير في ذهن السامع؛ (لأنه مما ينبغي الاعتناء به، وزيادة ما في الفعل من إفادة التجدد حتى يكون فيه استحضار الحالة)،[٥٩] وهذا أسلوب من الفصاحة إذ يُعاد اللفظ ليُبنى عليه وصف أو متعلَّق، ويحصل مع ذلك توكيد اللفظ السابق تبعاً، وليس المقصود من ذلك مجرد التوكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾،[٦٠] وقوله أيضاً: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾.[٦١] ومثله قول الأحوص الأنصاري (١٠٥هـ):

فإذا تزولُ تزولُ عن متخمطٍ تُخشى بوادره على الأقرانِ

قال ابن جني: (محال أن تقول: إذا قمت قمت، وإذا أقعد أقعد؛ لأنه ليس في الثاني غير ما في الأول، أي فلا يستقيم جعل الثاني جواباً للأول، وإنما جاز أن تقول: فإذا تزول تزول، لما اتصل بالفعل الثاني من حرف الجر المعتاد فيه الفائدة).[٦٢]

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها﴾:[٦٣]

ولم يقل: وإن أسأتم أسأتم لها، (فكأنه تعالى أظهر إحسانه بأن أعاده مرتين وستر عليه إساءته بأن لم يذكرها إلا مرة واحدة، وكل ذلك يدل على أن جانب الحسنة راجح).[٦٤]

٢. بيان الشهرة:

والشهرة تعني أن يكون الشخص أو الشيء معروفاً بصفة ما بين الناس. وفي الشرط لا يقال: من درس درس، ولكن يقال: من درس نجح، وهو الأكثر والأشيع، وإن التغاير يقع تارة باللفظ، وهو الأكثر، وتارة بالمعنى، ويفهم ذلك من السياق، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾،[٦٥] وهو مؤوّل على إرادة المعهود المستقر في النفس، كقولهم: أنت أنت، أي الصديق الخالص، وقولهم: هم هم، أي الذين لا يقدر قدرهم، وقولِ الشاعر:

أنا أبو النجم وشعري وشعري

وقوله:

بلاد بها كنا وكنا نحلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

قال ابن جني (والمعنى محمول عندنا على معناه دون لفظه؛ ألا ترى أن المعنى: وشعرى متناهٍ في الجودة، على ما تعرفه وكما بلغك، وقوله: إذ الناس ناس أي: إذ الناس أحرار، والبلاد أحرار)،[٦٦] وقد يفعل مثل هذا بجواب الشرط كقولك: من قصدني فقد قصدني، أي فقد قصد من عرف بإنجاح قاصده.[٦٧]

ومنه قول الرسول ﷺ بما معناه: اصنعِ المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله؛ أي افعل مع أهل المعروف ومع غيرهم، فإن أصبت أهله أصبت أهله.[٦٨]

ومنه قول أبي ذر الغفاري (٣٢هـ): (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني).[٦٩] قَالَ الطِّيبِيُّ (٧٤٣هـ): (اتِّحَادُ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ لِلْإِشْعَارِ بِشُهْرَةِ صِدْقِ لَهْجَتِهِ).[٧٠]

٣. المبالغة:

قال بعض النحويين: (إذا اتحد لفظ المبتدأ والخبر، والشرط والجزاء، علم منهما المبالغة، إما في التعظيم، وإما في التحقير، ففي الحديث: فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى الله ورَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورَسُولِهِ، ثَمّ تعظيم، وفي قوله: ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَنكحها، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليهِ، فثمّ تحقير.

ومن أمثلة ذلك: أن رسول الله ﷺ قال: من رآني، أي مثالي في المنام، فقد رآني، أي فكأنه قد رآني في عالم الشهود والنظام... وقد قال الطيبي: (الشرط والجزاء اتحدا فدل على التناهي في المبالغة، كما يقال: من أدرك الضمان، فقد أدرك المرعى، أي أدرك مرعى متناهياً في بابه، أي من رآني فقد رأى حقيقتي على كماله، لا شبهة ولا ارتياب فيما رأى).[٧١] ومنه قول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ،[٧٢] إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اتَّحَدَ فِيهِ الشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ لَفْظًا وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرٍ، قَالَ التُّورْبَشْتِيُّ (٦٦٠ هـ): التَّقْدِيرُ: إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَقْعَدُهُ مِنْ مَقَاعِدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، وَقَالَ الطِّيبِيُّ: الشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ إِذَا اتَّحِدَا لَفْظًا دَلَّ عَلَى الْفَخَامَةِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَرَى بَعْدَ الْبَعْثِ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ مَا يُنْسِيهِ هَذَا الْمَقْعَدَ).[٧٣]

ونخلص إلى أن الأصل في فعل الشرط والجواب أن يتغايرا، وقد يتشابهان، فيرد هذا التشابه إلى اختلاف الدلالة لاختلاف الإسناد، أو لاختلاف المعنى المقصود، أو زيادة على المعنى أداها ما التبس بفعل الجواب المكرر من حرف جر أو حال. وهو على أي حال، أسلوب عربي فصيح يقصد به الاهتمام.[٧٤]

ثالثاً– الجملة المزحزحة:

الأصل في العلاقة بين جملة الشرط وجملة الجواب أن تكونا مترابطتين، وأن تكون الأولى مقدمة طبيعية للثانية، والثانية ترتبط بالأولى (ارتباط المسبَّب بالسبب، أو النتيجة بالمقدمة. وهي لذلك خاضعة، مثل: من يذاكر ينجح... وواضح في كل ذلك أن جملة جواب الشرط خاضعة للشرط خضوع العلة للمعلول).[٧٥]

وحقيقة الجملة المزحزحة (أنها جملة الجواب، ولكنها قد حذفت أو دفعت جانباً، ثم استعيض عنها بما يدل عليها)،[٧٦] ونضرب أمثلة على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾:[٧٧] فما علاقة السرقة التي تمت الآن (ويشير إليها الفعل المضارع (يسرق)) بما فعل أخ له –وهو غير صحيح– في زمن سابق غير محدد، ويشير إليه الفعل (سرق)، وإن النظرة السريعة للجملة تشي بأن الحدث الأول (يسرق) ليس سببا لوقوع الحدث الثاني (سرق أخ)، أي أن السببية قد فقدت هنا، ومال بعض النحاة إلى تقدير محذوف، وهو: إِنْ كَانَ وَقَعَتْ مِنْهُ سَرِقَةٌ فَهُوَ يَتَأَسَّى مِمَّنْ سَرَقَ قَبْلَهُ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ،[٧٨] وهذه الجملة قد حذفت، وحلت محلها الجملة الموجودة التي دلت عليها. قال رؤبة (١٤٥ هـ):

يا ربِّ إنْ أخطأتُ أو نسيت فأنت لا تنسى ولا تموتُ

فليس الثاني مسبباً عن الأول، (وذلك أن حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسبَّباً عن الأوّل، وليس كون الله سبحانه غير ناس ولا مخطِئا، أمراً مسبّباً عن خطأ رؤبة ولا عن إصابته، إنما تلك صفة له –عزّ اسمه– من صفات نفسه. لكنه كلام محمول على معناه، أي إن أخطأت أو نِسيت فاعف عنّي لنقصي وفضلك، فاكتفى بذكر الكمال والفضل –وهو السبب– من العفْو وهو المسبَّب).[٧٩]

ومثله قوله تعالى: ﴿وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾:[٨٠] فما العلاقة بين القسم الأول والثاني؟ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سميع عليم﴾ ظاهرُه أنَّه جوابُ الشرطِ، وقال أبو حيان (٧٤٥هـ): (ويظهر أن جواب الشرط محذوف، تقديره: فليوقعوه، أي: الطلاق).[٨١] ومثله قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾؛[٨٢] لأن الجواب مُسبَّب عن الشرط، وأجلُ الله آت سواء أوجد الرجاء أم لم يوجد، وإنما الأصل فليبادر بالعمل، فإن أجل الله لآت).[٨٣]

ومنه قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾،[٨٤] والمعنى: إن أصابوا منكم فقد أصبتم منهم يوم بدر، ولم يضعفوا أن قُتِل منهم، فلا تضعفوا أن تقاتلوهم، أو قبل مخالفتكم الرسول يوم أحد، فإنهم يألمون كما تألمون، وفي هذا تسلية للمؤمنين أعظم مسلاة،[٨٥] (وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَتَأَسَّوْا فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ مَعْنًى يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ هُوَ (فَقَدْ مَسَّ)، فَهُوَ ذَاهِلٌ).[٨٦]

ومنه قوله تعالى: ﴿من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعاً﴾[٨٧] والمعنى: (من كان يريد العزة، فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان)،[٨٨] أو (فليطلبها من عنده؛ فإن له كلّها، فاستغنى بالدليل عن المدلول).[٨٩]

ومنه قوله –عز من قائل–: فَـ: ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾،[٩٠] أَيْ: لَا يُوهِنُكَ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ لَكَ، فَلَكَ أُسْوَةُ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ كُذبوا مع ما جاؤوا بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهِيَ الْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ.[٩١]

ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾،[٩٢] أي فحلق فعليه فدية، وكذلك قوله: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}،[٩٣] أي فأفطر فعليه كذا.

ومنه بيت الأحوص:

إني إذا ما خَفيتْ نار لُمرِملة أُلْفَى بأرفع تلّ رافعا ناري[٩٤]

(وذلك أنه إنما يفخر ببروز بيته لِقرى الضيف وإجارة المستصرِخ، كما أنه إنما يذمّ من أخفى بيته وضاءل شخصه بامتناعه من ذلك. فكأنه قال إذاً: إني إذا منع غيري وجبن أعطيت وشُجعت، فاكتفى بذكر السبب –وهو (التضاؤل والشخوص)– من المسبَّب وهو المنع والعطاء).[٩٥]

ومنه قول الأخطل (٩٠ هـ):

فإن تبخل سدوس بدرهميها فإن الريح طيبة قَبول

(أي إن بخلت –هذه القبيلة– تركناها وانصرفنا عنها. فاكتفى بذكر طيب الريح المعين على الارتحال عنها)،[٩٦] فهذه الريح سبب كاف للترك.

ويمكن هنا أن نطبق المنهج التوليدي التحويلي على هذا النمط، ففي المثال: (من أراد مالاً فإن المال عندي)، فمن الواضح أن الجملة الثانية ليست هي الجواب، فليست إرادتك المال بمقتضية وجوده عندي، أي إنّ الثانية ليست نتيجة للأولى، وليست الأولى سببا للثانية، وإنما الأصل: ليأت إليَّ، ثم دخلت عليها: جملة الشرط (من أراد مالاً)، لتصبح الجملة محولة بعنصر تحويل: من أراد مالا فليأت إليّ –الفاء مجرد رابط يربط فعل الشرط بالجواب–، ثم دخل عنصر تحويل يفيد التعليل، وهو الجملة: فإن المال عندي، فأصبحت الجملة تشتمل على عنصريْ تحويل، (من أراد مالا فليأت إليّ، فإن المال عندي)، ثم حذفت جملة الجواب بسبب دلالة الجملة التعليلية عليها، وعدم قدرتها (جملة الجواب) على الحلول محلها (الجملة التعليلية)، والدلالة عليها، والحذف عنصر تحويل أيضاً، ففي الجملة ثلاثة عناصر تحويل، هي: إضافة جملة الشرط، وإضافة الجملة التعليلية، وحذف جملة الجواب.

الخاتمة:

وصفوة القول إن الدراسة الحالية قد سعت إلى مناقشة فكرة الشك واليقين في أدوات الشرط التي ترى أنّ (إذا) تفيد اليقين، و(إنْ) تفيد الشك، وقد تخالفت هذه الدراسة معها، ورأت أن الشك نابع من الجملة التي تجيء بعدها، وليس منها. وتقدمت الدراسة خطوة إلى الأمام عارضة فكرة جواب الشرط، أي الجملة النواة، هي الأصل، وهي –إن جاءت إخبارية– يمكن أن تتقبل دخول بعض أدوات التوكيد مثل اللام وإنّ وغيرها.

وقد ناقشت الدراسة أيضاً فكرة اتحاد فعل الشرط والجواب، عارضة الأمثلة على ذلك، ومبينة أن ذلك أسلوب عربي فصيح، وأنه جاء لإفادة معانٍ ما كانت لتؤدى دون ذلك، ثمّ عرضت الدراسة إلى الجملة المزحزحة، وأثر المعنى في بيان ما حُذِف في الجملة الشرطية، وأنه ينبغي التنبه له.

هوامش البحث:

[١] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **كتاب التعريفات**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص١٢٨.

[٢] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، ط١، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م)، ص٦٤.

[٣] ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء، **شرح المفصل في صناعة النحو**، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ص٩.

[٤] السابق نفسه.

[٥] انظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ط١، (القاهرة: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م)، ج٢، ص٥١٨.

[٦] سورة آل عمران، آية ٣٧.

[٧] الزعبي، محمد عفيف، **مختصر سيرة ابن هشام**، ط١، (بيروت: دار النفائس، ١٩٧٧م)، ص١١٧.

[٨] السابق نفسه.

[٩] نفسه.

[١٠] سورة اقرأ، آية ١٥.

[١١] سورة الأحزاب، آية ٣٠.

[١٢] سورة الزمر، آية ٦٥.

[١٣] سورة الأحزاب، آية ٣١.

[١٤] انظر: الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م)، ص٢٥٤.

[١٥] انظر: الزعبي، **مختصر سيرة ابن هشام**، ص ١١٩.

[١٦] سورة يوسف، آية ٢٦، ٢٧.

[١٧] سورة يونس، آية ٩٤.

[١٨] سورة البقرة، آية ٢٨٥.

[١٩] انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر أبو سعيد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م)، ج١، ص٢١٤.

[٢٠] سورة الكهف، آية ٣٦.

[٢١] سورة الكهف، آية ٣٦.

[٢٢] انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٣، (بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٨٤م)، ج١، ص٤١٤ والزمخشري، محمود بن عمرو أبو القاسم، **الكشاف**، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٧٢٢ .

[٢٣] الطبري، **جامع البيان**، ج١٥، ص ٢٠٢-٢٠٣.

[٢٤] انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م)، ج٨، ص٣٨٢.

[٢٥] سورة البقرة، آية ٢٤.

[٢٦] الأُستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، تعليق: يوسف حسن عمر، (ليبيا: جامعة قار يونس، ١٩٧٨م)، ج٤، ص٨٧.

[٢٧] سورة الإسراء، آية ٢٣.

[٢٨] انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٦٧٥.

[٢٩] النيسابوري، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط١، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ج٤، ص٣٣٩.

[٣٠] يعتمد عمايرة في النظرية التوليدية التحويلية على ما جاء عند تشومسكي، مع شيء من التغيير، والاهتمام بالمعنى، وعناصر التحويل عنده هي: الترتيب، والزيادة، والحذف، والحركة الإعرابية، والتنغيم. للمزيد ينظر: عمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، (جدة: عالم المعرفة، ١٩٨٤م)، ص٨٨ وما بعدها.

[٣١] الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج٢، ص٦٢٣.

[٣٢] السابق نفسه.

[٣٣] يرى عمايرة أنّ الجملة التوليدية هي الجملة الأصل قبل أن يطرأ عليها تحويل، فالأصل في الجملة الفعلية أن يتقدم الفعل فالفاعل فالمفعول، نحو: أكل زيد التفاحة، ولكن الجملة: التفاحة أكل زيد، تقدم فيها المفعول على الفعل والفاعل، فالتحويل هنا حدث بالتقديم، والجملة التحويلية ما دخلها عنصر من عناصر التحويل التي تم ذكرها في **الحاشية رقم ٢٦**، وينظر المرجع نفسه.

[٣٤] سورة إبراهيم، آية ٧.

[٣٥] عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها**، ص١٢١.

[٣٦] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: المكتبة العلمية، ٢٠٠١م)، ج ٣، ص٣٣١.

[٣٧] ومثله في القرآن الكريم: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم﴾، سورة هود، آية ٢٨.

[٣٨] سورة هود، آية ٥٦.

[٣٩] انظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن أحمد بن عبد الله، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ط٥، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩م)، ج٢، ص٨٥؛ وابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ط٢٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، ١٩٨٠م)، ج١، ص٤٧٤.

[٤٠] الأستراباذي، **شرح الرضي على الكافية**، ج١، ص١٩٩.

[٤١] انظر: ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ج٣، ص٣١١-٣١٢.

[٤٢] سورة مريم، آية ٢٦.

[٤٣] سورة مريم، الآية ٢٦. قال القرطبي، محمد بن أحمد: هذا جواب الشرط وفيه إضمار؛ أي فسألك عن ولدك: (فقولي إني نذرت للرحمن صوما)، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج١١، ص٩٧. ومسوغ توكيد الفعل هنا أنه سبق بما التي أكدت معنى الشرط في إن؛ ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٦، ص٦٧٥.

[٤٤] سورة الكهف، آية ٧٦.

[٤٥] سورة النساء، آية ٣.

[٤٦] سورة الكهف، آية ٣٩،٤٠.

[٤٧] سورة الإسراء، آية ٨.

[٤٨] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ط١، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م)، ج١٤، ص٣٢.

[٤٩] النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢م)، ج٣، ص١٧.

[٥٠] جزء من بيت شعر مطلعه: ومن يغترب يحسب عدوا صديقه. ينظر: الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان، **شعر زهير بن أبي سلمى**، ط٣، تحقيق: فخر الدين قباوة، (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م)، ص٢٨.

[٥١] انظر: السابق نفسه.

[٥٢] انظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ط١، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م)، ص٢٧١.

[٥٣] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج١٣، ص٧٩.

[٥٤] سورة الفرقان، ٧١.

[٥٥] السابق نفسه.

[٥٦] سورة الرعد، آية ٣٠.

[٥٧] انظر: الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي، **مفاتيح الغيب: التفسير الكبير**، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٠م)، ج١١، ص٤٥٣.

[٥٨] سورة المطففين، آية ١٣.

[٥٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص١٨٨.

[٦٠] سورة الفرقان، آية ٧٢.

[٦١] سورة الشعراء، آية ١٣٠.

[٦٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **شرح مشكل الحماسة**، نقلاً عن: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١٩٠.

[٦٣] سورة الإسراء، آية ٧.

[٦٤] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٨١.

[٦٥] سورة الفرقان، آية ٧١.

[٦٦] ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص٣٣٧-٣٣٨.

[٦٧] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري**، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار الفكر، مصور عن الطبعة السلفية)، ج١، ص١٦.

[٦٨] انظر: ابن تاج العارفين، ناوي عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط١، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٦م)، ج١، ص٥٣٣.

[٦٩] القاري، الملا علي بن محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط١، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٣٨٠.

[٧٠] السابق نفسه.

[٧١] السابق، ج٧، ص٢٩١٤.

[٧٢] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٣، ص٢٤٣.

[٧٣] السابق نفسه، ص٢٦٧.

[٧٤] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٢٨.

[٧٥] ضيف، شوقي، **تجديد النحو**، ط٦، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٧٦] عمايرة، إسماعيل، **بحوث استشراقية: نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربية من خلال باب الشرط**، ط١، (عمان: دار البشير، ١٩٩٦م)، ص١٠٦- ١٠٨.

[٧٧] سورة يوسف، آية ٧٧.

[٧٨] انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج٦، ص٣٠٨؛ والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **همع الهوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، ج٢، ص٥٥١. والتقدير عنده: إن يسرق فتأسّ فقد سرق أخ له من قبل ومثله قوله تعالى: ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل﴾، (سورة فاطر، آية ٤) أي فتسل فقد كذبت. قال أبو حيان: وَسمي الْمَذكُور جَوَابا لِأَنَّهُ مغن عَنهُ بِحَيْثُ لَا يجامعه لِكَثْرَة مَا اسْتعْمل.

[٧٩] ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص١٧٥.

[٨٠] سورة البقرة، آية ٢٢٧.

[٨١] أبو حيان الأندلسي، **البحرالمحيط**، ج٢، ص٤٥٠.

[٨٢] سورة العنكبوت، آية ٥.

[٨٣] ابن هشام، جمال الدين بن عبدالله، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ص١٥٠.

[٨٤] سورة آل عمران، آية ١٤٠.

[٨٥] انظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج٣، ص٣٥٣.

[٨٦] المرجع السابق ، ج٣، ص٣٥٣.

[٨٧] سورة فاطر، آية ١٠.

[٨٨] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،ج٢٠، ص٤٤٤.

[٨٩] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٤، ص٢٥٥.

[٩٠] سورة آل عمران، آية ١٨٤.

[٩١] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ج٢، ص١٧٧.

[٩٢] سورة البقرة، آية ١٩٦.

[٩٣] سورة البقرة، آية ١٨٥.

[٩٤] انظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص١٧٧.

[٩٥] المرجع السابق، ص١٧٥.

[٩٦] نفسه، ج٣، ص١٧٩.

References: **المراجع:**

ʾabu Ḥayān al-ʾandalusiy, Moḥammad Ibn Yūsuf, *al-Baḥr al-Muḥīṭ*, Taḥqīq: Ṣudqi Moḥammad Jamīl,(Beirut: Dār al-Fikr, 2000).

Al-ʾaʿalam al-Shamantari, Yusuf Ibn Sulaymān, *Shiʿr Zuhīr Ibn ʾabi Salamā,* Taḥqīq : Fakhr al-Dīn Qabāwah, (Beirut: Manshūrāt Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1980).

al-ʾanbāri, ʾabu al-Barkāt ʿabd al-Raḥmān Ibn Moḥammad, *al-ʾinṣāf Fī msāl al-Khilāf*, (Beirut: al-Maktabah al-ʿaṣriyyah, al-2004).

Al-Baiḍāwi, ʿabd Allāh Ibn ʿamr ʾabu Saʿīd, *ʾanwār al-Tanzīl wa ʾasrār al-Taʾwīl*, Taḥqīq: Moḥammad ʿabd al-Raḥmān al-Marʿashli, Dārʾiḥyāʾ al-Turāth al-ʿarabiyy, 1998).

al-Fakhr al-Rāzi, Moḥammad Ibn ʿamr al-Taimi ʾabu ʿabd Allāh, *Mafātīḥ al-Ghaib: al-Tafsīr al-kabīr*, (Beirut: Dār ʾiḥyāʾ al-Turāth al-ʿarabiyy, 2000).

Al-Naisābūriy, al-Ḥasan Ibn Moḥammad, *Gharāʾib al-Qurʾān wa Raghāʾib al-Furqān*, Taḥqīq: al-Shiekh Zakariyā,(Beirut: Dār al-Kutub al-ʿilmiyyah, 1996).

Al-Nawawiy, Yaḥyā Ibn Sharīf, *al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim Ibn al-Ḥjjāj*, (Beirut: Dār ʾiḥyāʾ al-Turāth al-ʿarabiyy, 1972).

Al-Qāri, al-Mallā ʿali Ibn Moḥammad, 1st Edition, *Murqāt al-Mafātīḥ Sharḥ Mushkāh al-Maṣābīḥ*, (Beirut: Dār al-Fikr, 2002).

Al-Qurṭubi, Moḥammad Ibn ʾaḥmad, *al-Jāmiʿ Liʾaḥkām al-Qurʾān*, (Beirut: Ṭibāʿah Dārʾiḥyāʾ al-Turāth al-ʿarabiyy, 1985).

Al-Suyūṭi, Jalāl al-Dīn ʿabd al-Raḥmān Ibn ʾabi Bakr, H*amʿ al-Hawāmiʿ*, Taḥqīq: ʿabd al-Ḥamīd Hindāwi, (Cairo: al-Maktabah al-Tawfīqiyah, no. date).

Al-Suyūṭi, Jalāl al-Dīn ʿabd al-Raḥmān Ibn ʾabi Bakr, *Muʿjam Maqālīd al-ʿulūm Fī al-Ḥudūd wa al-Rusūm*, Taḥqīq: Muḥammad ʾibrāhīm ʿibādah, (Cairo: Maktabah al-Ādāb, 2004).

Al-Ṭabariy, Moḥammad Ibn Jarīr ʾabu Jaʿfar, *Jāmiʿ al-Bayān Fī Taʾwīl al-Qurʾān*, Taḥqīq: ʾaḥmad Moḥammad shākir,(Beirut: Muʾssasah al-Risālah, 2000).

Al-Thʿālibi, ʿabd al-alk Ibn Moḥammad Ibn ʾismāʿīl ʾabu Manṣūr, *Thimār al-Qulūb Fī al-Muḍāf wa al-Mansūb*, (Cairo: Dār al-Maʿāri, 1955).

Al-ʾustrābādhi, Moḥammad Ibn al-Ḥasan al-Raḍiy, *Sharḥ al-Raḍiy ʿalā al-kāfiyah*, Tʿalīq: Yūsuf Ḥasan ʿamr, (Lebia: Jāmiʿah Qār Yūnus, 1978).

Al-Zamakhshari, Maḥmūd Ibn ʿamr ʾabu al-Qāsim, *al-Kashshāf*, (Beirut: Dār al-kitāb al-ʿarabiyy, 1987).

Al-Zuʿubi, Moḥammad ʿafīf, *Mukhtaṣar Sīrah Ibn Hishām*, (Beirut: Dār al-Nafāʾis, 1977).

ʿamāyrah, ʾismāʿīl, *Buḥūth Istishrāqiyyah: Naẓrah Maqāranah ʾilā al-Madrasah al-Naḥwiyyah al-ʿarabiyyah Min Khilāl Bāb al-Sharṭ*, (Beirut: Dār al-Bashīr, 1996).

ʿamāyrah, Khalīl, *Fī Naḥw al-Lughah wa Tarākībuhā*, (Beirut: ʿālam al-Maʿrifah, 1984).

Ḍīf, Shawqi, *Tajdīd al-Naḥw*, (Cairo: Dār al-maʿārif, no. date).

Ibn al-Jawzi, ʾabu al-Faraj ʿabd al-Raḥmān Ibn ʿali, *Zād al-Masīr Fī ʿilm al-Tafsīr*, (Beirut: al-Makatab al-ʾislāmi, 1984).

Ibn ʿaqīl, ʿabd Allāh Ibn ʿabd al-Raḥmān, *Sharḥ Ibn ʿaqīl ʿalā ʾalfiyah Ibn Mālik*, Taḥqīq: Moḥammad Muḥiyy al-Dīn ʿabd al-Ḥamīd, (Cairo: Dār al-Turāth, 1980).

Ibn ʿāshūr, Moḥammad al-Tāḥir, *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (Beirut: Muʾassasah al-Tārīkh al-ʿarabiyy, 2000).

Ibn ʿāshūr, Moḥammad al-Tāḥir, *al-Taḥwīr wa al-Tanwīr*, (Tunisia, Dār Saḥnūn Lilnashr wa al-Tawẓiʿ, 1997).

Ibn Ḥijr, ʾaḥmad Ibn ʿali, *Fatḥ al-Bāri*, Dār al-Fikr (Cairo: Daār al-Fikir, Muṣwwar ʿan al-Ṭabʿah al-Salafiyyah, no. date).

Ibn Hishām, ʿabd Allāh Ibn Yūsuf Jamāl- al-Dīn, *Mughni al-Labīb ʾan Kutub al-ʾaʿārīb*, Taḥqīq: Māzin al-Mubārak wa Moḥammad ʿali ʾaḥmad Allāh, (Beirut: Dār al-Fikr, 1985).

Ibn Hishām, ʿabd Allāh Ibn Yūsuf Jamāl- al-Dīn, *ʾawḍaḥ al-Masālik liʾalfiyyah Ibn Mālik*, (Beirut: Dār al-Jīl, 1979).

Ibn Jinni, ʾabu al-Fatḥʿuthmān, *al-khaṣāʾiṣ*, Taḥqīq: Moḥammad ʿali al-Njjār, (Cairo: al-Makatbah al-ʿilmiyyah, 2011).

Ibn Kathīr, ʾismāʿīl- Ibn ʿamr ʾabu al-Fadāʾ, *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm*, Taḥqīq : Sāmi Ibn Moḥammad Salāmah, (Cairo: Dār Ṭaibah lilnashr wa al-Tatwzīʿ, 1999).

Ibn Tāj al-ʿārifīn, Nāwi ʿabd al-Raʾūf, *Faiḍ al-Qadīr Sharḥ al-Jāmiʿ al-Ṣaghīr*, (Cairo: al-Maktabah al-Tijāriyyah al-Kubrā, 1936).

Ibn Yaʿīsh, Yaʿīsh Ibn ʿali Ibn Yaʿīsh ʾabu al-Baqāʾ, *Sharḥ al-Mufaṣṣal Fī Ṣināʿah al-Naḥw*, (Beirut:ʿālam al-Kutub, 1988)